AL-HIKMAH RESEARCH & PUBLICATION CENTER

مجلة الحكمة العالمية
للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية
الرقم 1، العدد 4، يناير 2021
e-ISSN: 2637-0581
DOI: 10.46722/hkmh.4.1.21q
https://doi.org/10.46722/hkmh.4.1.21q

الهجرة والمهاجرون ودورهم في تقويض مفهوم الإسلاموفوبيا

هاني بن علي بن عايد البلوي[1]

ملخص

تهدف فكرة الكتابة عن الهجرة والمهاجرين وأثرهم في مواجهة الإسلاموفوبيا لدى الغرب وتصحيح الصورة وتعديل المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وأهله، وإرساء قيم السلام والتسامح وترسيخ مفهوم الأخلاق والوسطية والاعتدال، ودورهم الكبير في التصدي للأيدلوجية الفكرية لدى ذلك التطرف المضاد الذي تم تغذيته في الآونة الأخيرة. وتكمن إشكالية هذا البحث في تنوع الطرق والآليات – لدى المهاجرين– التي يمكن توجيهها بطرق صحيحة لمواجهة مفهوم الإسلاموفوبيا الذي تغلغل في بلدان كثيرة، وفي ظل الهجمات القوية التي تشنها حملات مغرضة لتشويه الإسلام، والتي أدت إلى ممارسات ومضايقات للإسلام وأهله. وتبرز أهمية البحث في الدور الذي سيقدمه المهاجرون من خدمة جليلة للإسلام وأهله في التنوير والتبصير لدى تلك المجتمعات التي اختلطت لديها والتبست عليها صورة الإسلام الصحيح دين الرحمة والسلام، وكذلك تبرز الأهمية في إعطاء أمثلة لنماذج حية كانت مثالا رائعا وأنموذجا مثاليا، أدى بالتالي إلى دخول

[1] University of Tabuk, Kingdom of Saudi Arabia. Email: Hany-b77@hotmail.com.

الكثيرين في دين الإسلام، وأصبحوا دعاة خير وهدى لهذا الدين، وخلص البحث إلى أن معالجة مشكلة الإسلاموفوبيا تتطلب مخاطبة العالم الخارجي بلغاته وعبر أدواته ووسائله الإعلامية.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الإسلاموفوبيا، الهجرة والمهاجرين، طرق وآليات.

Abstract

This study has discussed about migration and immigrants and their impact in confronting Islamophobia in the West, to correct the image of Islam, to modify the misconceptions about Islam and its people, and to establish the required values of peace, tolerance, morality, and moderation. Besides, the research also shed light on the significant role of immigrants in countering the recent spread of radical ideologies. The problem with this research lies in the diversity of methods and mechanisms among immigrants that can be brought together and directed towards countering the concept of Islamophobia which has permeated many countries. These methods can be utilized to overcome the strong attacks caused by tendentious campaigns to distort Islam, which have led to practices and harassment against this religion and its people. This study research aims to give insights into immigrants' significant role in defending their religion and creating awareness about this peaceful and merciful religion among those who have been brainwashed. Furthermore, the immigrants to present the excellent model of Islam, pitch to non-Muslims about the beauty of this religion and give different examples that have caused many people to embrace this religion and convert, the converted people can also play a vital role in becoming the Islam advocates. The study concluded that addressing the problem of Islamophobia requires talking to people of different countries with their own language and through the same media tools used in those places.

Keywords: The concept of Islamophobia, migration and immigrants, methods and mechanisms.

مقدمة:

برزت ظاهرة "الإسلاموفوبيا" إلى واجهة الأحداث والتحديات في ظل تطورات ساخنة تشهدها الساحتين الإقليمية والدولية، وما تعرض له الربيع العربي من قمع وانهيار، وما تلا ذلك من اندلا ع حروب ملتهبة في المنطقة، وظهور تنظيمات متطرفة تزعم انتماءها للإسلام. كما تعرضت عدة دول غربية (فرنسا، بلجيكا، ألمانيا، الولايات المتحدة) لسلسلة من الهجمات والتفجيرات دموية، الأمر الذي دفع بقوة نحو بزوغ موجة جديدة وخطيرة من "الإسلاموفوبيا".

إن استقراء مضامين الموجة العدائية الجديدة ضد الإسلام، مع وقوع كثير من الهجمات في العالم الغربي وتوجيه أصابع الاتهام نحو منفذين من أصول عربية وإسلامية، يضاعف الحاجة إلى دراسات جديدة ورؤى استشرافية تعمل على احتواء تداعيات الوضع الراهن، وتواجه "مأسسة الإسلاموفوبيا" باستراتيجية موازية وبشكل يُواكب التحدي القائم في هذا السياق، ويُبدد صناعة الخوف والكراهية التي باتت مخططًا للإساءة إلى الإسلام والمسلمين.

إن خطر هذه الظاهرة يتعاظم ويهدد الوجود الإسلامي برمته، مُخلِفًا تداعيات عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية جسيمة، فضلا عن كونه وقودا يشعل مواجهات مستمرة على أصعدة عديدة، الأمر الذي يتطلب التدخل بشكل عاجل

لإقرار وصياغة وتنفيذ سياسات ومواقف عملية من شأنها إجهاض حروب الكراهية ووقف آلة الخوف والتشويه.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة للأسباب الأتية:

1. تنبع أهمية هذه الدراسة من طبيعة الموضوع الذي تتناوله، وهو دور المهاجرين في تقويض مفهوم الإسلاموفوبيا، حيث يلاقي قطاع كبير من المسلمين المقيمين في ديار الغرب من أزمة الخوف من الإسلام.
2. أنها تحاول أن تتجاوز المرحلة التقليدية في وصف وتحليل هذه الظاهرة المستفحلة في الآونة الأخيرة، إلى مرحلة وضع حلول واقتراحات ممنهجة قدر الإمكان.
3. هذه الدراسة تحاول أن تلفت نظر كل مهتم بشؤون المسلمين (دعاة، باحثين، أكاديميين، سياسيين، اقتصاديين، ...) لحقل فكري كبير لم ينل حقه من العناية والاهتمام من العالم الإسلامي، وهو (مواجهة الخوف من الإسلام).

أهداف الدراسة:

1. الحد من ظاهرة الإسلاموفوبيا التي تواجه الجالية المسلمة في الغرب.
2. نقل أهم الصور السلبية التي تلصق بالإسلام من قبل الغرب.
3. طرح عدد من المقترحات والحلول ذات توجه علمي ومنهجي لإزالة المفاهيم المغلوطة عن الإسلام.
4. طرح حلول عملية ذات طبيعة تطبيقية لتذليل هذه العقبات أمام الجالية المسلمة في الغرب.

مصطلحات الدارسة:

الهجرة: مفهوم الهجرة: وهو المفهوم المحوري في هذه الدراسة، ويعني انتقال الأفراد أو الجماعات من منطقة إلى أخرى. وتركز الدراسة على نمط واحد من أنماط الهجرة، وهو الهجرة الخارجية، التي تعني الانتقال من بلد إلى آخر.

مفهوم الدور: وهو من المفاهيم الرئيسية المستخدمة في الدراسة، ويقصد به في هذا السياق معنيان: أولهما مدى قدرة هذه الجاليات عنِ الدفاع عن حقوقها في الدول التي تقيم فيها، وعلى مواجهة التحديات التي تدفع باتجاه تهميشها، في ظل وجود سياسات تمييزية التي قد تمارس ضدها. وثانيهما مدى قدرة هذه الجاليات على تقويض مفهوم الإسلاموفوبيا.

الإسلاموفوبيا: مصطلح الإسلاموفوبيا: أو رهاب الإسلام هو لفظ حديث نسبيا يشير إلى الإجحاف والتفرقة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين. والإسلاموفوبيا تعنى في أبسط معانيها، كل مظاهر الكراهية والخوف من الإسلام بالنظر إليه بأنه دين عنف وأن المسلمين دعاة تعصب، وكراهية للآخر، وأن الحضارة الإسلامية، حضارة ترفض الحرية والعدالة وقيم الحق.

المبحث الأول: الوجود الإسلامي في الغرب

نشأت ظاهرة الأقليات المسلمة في العصر الحديث، مع تصاعد الهجرة من البلاد الإسلامية إلى مختلف أقطار الأرض، خلال العقد الأول من القرن العشرين في مستواها الأول. بينما برزت هذه الظاهرة في مستواها الثاني، مع نشوء الدول الحديثة في العديد

من المناطق التي كانت تقع تحت حكم المسلمين، إلى أن قررت القوى الاستعمارية الأوروبية إعادة رسم الخريطة السياسية والجغرافية لهذه المناطق، وتقليص حضورهم، ليصبحوا أقلية بحيث يتضاءل نفوذ المسلمين في المجتمعات التي كانوا يحكمونها إلى عهود قريبة(aljwijri2015).

فمع وجود المسلمين واستقرارهم في أوروبا والبلاد الغربية عموماً، بدأت تطفو على السطح مظاهر العنصرية والخوف من الإسلام وكراهية المسلمين، أو ما يطلق عليه مصطلح «إسلاموفوبيا»، التي يمكن تفسيرها بمحاولة تحميل المسلمين مسؤولية أزمات الحاضر من البطالة وانتشار العنف والجريمة من ناحية. ومن ناحية أخرى التخوّف من تحوّل جذري في هوية المجتمعات الغربية في اتجاه الأسلمة المتدرّجة بالكلمة والسلوك، بالنظر إلى ما تمتلك الفكرة الإسلامية من جاذبية، وما يمتلك المسلمون من مقومات حضارية وقوة كامنة للفعل والتأثير، إضافة إلى العامل الديمغرافي الذي يسير في صالحهم، بحكم اتجاه المجتمعات الغربية نحو الشيخوخة، والمسلمون بصدد المساهمة في تجدّد هذه المجتمعات.

ويستطيع المتابع للتغيرات التي شهدتها أوروبا خلال الأعوام الأخيرة أن يلاحظ تزايدا كبيرا للمسلمين في الغرب نتيجة للظروف السياسة والاقتصادية التي يمر بها العالم الإسلامي.

ولقد كانت الأفواج الأولى من المهاجرين من العالم الإسلامي إلى البلدان غير الإسلامية ذات خصائص متقاربة يغلب عليها الطابع الشعبي العام؛ إذ لم يكونوا من ذوي المستويات الثقافية العالية، وكان البحث عن موارد الرزق، هو أكبر دافع إلى هذه

الهجرات الأولى، والتي نتج عنها ظهور تجمعات إسلامية تتوزع على رقعة جغرافية مترامية الأطراف، مما أدى إلى ذوبان معظم هؤلاء المهاجرين في المجتمعات الجديدة عليهم، بحيث لم يشعر بهم أحد، خاصة أن العالم الإسلامي آنذاك كان في وضع بالغ الضعف من جراء عوامل عديدة[2]، وبالتالي كان البعد الرسالي في هجرتهم خافتا إن لم يكن منعدما.

إلا أن هنالك أملا يمكن استثماره في كسر جدار الخوف من الإسلام، إذا حسن استثمار هذه الجاليات، لتقوم بدور رسالي، ويمكن أن يكون ذلك بشكلين أساسيين:

الأول: الدور التصحيحي الدفاعي

يتعلق هذا الدور بتصحيح التصورات المغلوطة والنظرة السلبية المترسبة في العقل الغربي في تاريخ العلاقات بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، والتي تعود إلى تراكمات نتيجة مخلفات الصراع والصدام إبان الحروب الصليبية والمرحلة الاستعمارية.

فبناء على تلك التصورات المغلوطة والصورة المظلمة وما يترتب عليها تنبع الحاجة إلى هذا الدور الذي يقوم على تصحيح الرؤى وتغيير الأفكار المغلوطة من أجل تفادي الصراع وإقامة حوار حضاري مع الغرب (mohammed al mahdi2015).

[2] المرجع نفسه، ص14.

من هنا تأتي الحاجة إلى الكفاءات لتغيير الصورة السلبية عن الإسلام، والتذكير بالعطاء الحضاري للإسلام تاريخياً، وإقامة حوار حضاري مع النخبة المثقفة، والطبقة السياسية، والجهات الإعلامية، والجهات الدينية. ويمكن التوقف عند كل فئة لمعرفة أهمية دور العقول والكفاءات المهاجرة في الحوار الحضاري المنشود. (mohammed al rafki1988)

1– محاورة صانعي الأفكار

النخبة المثقفة يقصد بها هنا المفكرون والجامعيون والباحثون المستقلون أو العاملون في مراكز الدراسات والبحوث. ومعلوم أن العديد من هذه المراكز هي عبارة عن مخابر لصنع الأفكار وإعداد التقارير التي يعتمد عليها أصحاب القرار في اتخاذ قرارهم. وينظم القائمون على هذه المراكز ندوات ومحاضرات ويدعون إليها مختصين في هذا المجال أو ذاك. ويلاحظ تزايد الندوات التي تتناول القضايا المتعلقة بالإسلام والمسلمين وبالجاليات المسلمة .

وهي إحدى المداخل المهمة لربط العلاقة مع الباحثين الغربيين ومحاولة عرض وجهة نظر الإسلام في العديد من المسائل. كما يمكن أن تساهم الكفاءات المهاجرة في إقامة مثل هذه المراكز. وتزداد أهمية هذا البعد خاصة في ظل المتغيرات والأحداث الطارئة، التي وضعت جهود سنوات طويلة من الحوار ومحاولة تصحيح الرؤى والتصورات في الميزان.

وهنا يأتي دور المثقفين المسلمين في السعي إلى وضع قطار الأفكار والرؤى والتصورات على سكته الصحيحة. ويتمثّل دورهم أيضاً في الدفع نحو إعادة النظر أو

على الأقل مراجعة البرامج التعليمية التي تقدمّ الإسلام والمسلمين بنظرة احتقارية وسلبية، أو التي تتضمّن تحريفاً وتشويهاً للحقائق، خاصة في مادة التاريخ .

2- محاورة الإعلاميين

إنّ الإعلام سلاح ذو حدين، وأداة مهمّة للتأثير في الرأي العام. ولأهميته، فإنّ التوجّه إلى الجهات الإعلامية لتصحيح نظرتها عن الإسلام والمسلمين يتطلّب معرفة بخصوصيات السّاحة الإعلامية الغربية. فلو أخذنا على سبيل المثال الساحة الإعلامية الأوروبية، فإنها تقوم من حيث الهيكلية على عمل مؤسسي متطور، وعلى تكتلات لمواجهة المنافسة الأمريكية والآسيوية .

وتستمد هذه المؤسسات مصادرها من وكالات أنباء قوية مثل الوكالة الفرنسية للأنباء، ورويتر...؛ ومن صانعي القرار في العالم، باعتبار أوروبا الغربية مركزاً مهماً للحركة الدبلوماسية، حيث إنّ أغلب هؤلاء، أو من يمثّلهم، يمرّون عبر باريس ولندن وبرلين في طريقهم إلى الولايات المتحدة؛ وكذلك من عشرات الندوات والملتقيات السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية المنعقدة في أوروبا؛ ومن عشرات المنظمات الإقليمية والدولية في أوروبا (الحلف الأطلسي، اليونسكو..)؛ ومن مئات المنظمات والجمعيات الأهلية في أوروبا الممثلة لمكوّنات الطيف الاجتماعي والعرقي والديني في شكل نموذج مصغّر لما يوجد في العالم .

والمتحاور مع الإعلاميين حول هذه القضايا يجب أن يكون مستوعباً للعوامل الفكرية التي أثّرت وتؤثّر في الإعلامي الغربي وهو يصنع الخبر أو التحليل المتعلّق

بالإسلام، مثل الثقافة التي تلقاها في حياته الدراسية، والعقلية الغربية المتأثرة بالتصورات الفكرية والأيديولوجية المسيحية أساساً، والعلمانية، والرصيد التاريخي، ومخلفات ثقافة الاستشراق، والصّورة السلبية الناتجة عن الانحرافات السلوكية والفكرية لبعض المسلمين) hasan azouzi 2006)

3- الدفاع عن حقوق المسلمين لدى السياسيين

إذا كان الاتصال بالإعلام، الذي يوصف بالسلطة الرابعة، يكتسي أهمية كبرى، فإنه من المهمّ أيضاً التدخل لدى أصحاب القرار للدفاع عن حقوق المسلمين الذين يتحوّلون تدريجياً إلى جزء من كيان المجتمعات الغربية، ومحاولة إقناع السياسيين بضرورة ضمان تساوي الفرص كشرط لتحقيق المواطنة، وذلك على المستوى الاجتماعي بإيجاد الظروف الضامنة للكرامة الإنسانية، خاصة في مجالات العمل والسكن والتعليم، وتجنّب كلّ أشكال الإقصاء في العمل بسبب الانتماء إلى أصل أجنبي، ومظاهر حشر المسلمين في أحياء سكنية غير لائقة، كما حصل للمسلمين في فرنسا خلال الستينيات، مما فاقم ظاهرة العنف في ضواحي المدن الكبرى .

وعلى المستوى الثقافي، يتطلب تساوي الفرص احترام الخصوصيات الثقافية والدينية، والتصدي للعقليات المثيرة للنعرات العرقية والعنصرية، وظاهرة «الإسلاموفوبيا» في وسائل الإعلام ودوائر صناعة الفكر والقرار، وإعطاء حق الرد على تشويه صورة الإسلام والمسلمين .

وعلى المستوى السياسي، تطرح مسألة المساعدة على المواطنة الإيجابية، عن طريق المشاركة السياسية، وفتح باب الترشح في وجه المواطنين من أصل أجنبي، وباب الانتخاب للجميع، على الأقل في الانتخابات البلدية، باعتبار أن تحقيق المساواة في الفرص والحصول على حقوق المواطنة كاملة من شأنه أن يجعل من مسلمي أوروبا والغرب عموماً جسراً حضارياً بين العالم الإسلامي والعالم الغربي .

4- محاورة أهل الكتاب

منذ أن بدأت مؤشرات تحوّل الأقليات المسلمة من الهجرة إلى الاستقرار في المجتمعات الغربية، ارتفعت بعض الأصوات التي تؤكد أنّ هذه المجتمعات ذات انتماء مسيحي-يهودي، بقصد إقصاء الوجود الإسلامي في هذه الديار، أو على الأقل تهميشه حتى لا يكون فاعلاً. ولم يمنع ذلك من عقد ندوات واجتماعات بين المسلمين واتباع الديانة المسيحية فيما يسمّى بالحوار الإسلامي المسيحي الذي بقي يراوح مكانه. لكنّ أحداث سبتمبر وتداعياتها دفعت مسؤولي المؤسسات الدينية إلى إعادة التفكير في ضرورة التقارب والحوار من جديد، من أجل رفع الكثير من سوء التفاهم، ومنع الفكر المتشدد لدى الجانبين من هدم جسور التواصل. فقد تبيّن من خلال تجارب حوارية سابقة أنّ هناك فضاءً كبيراً للالتقاء حول اهتمامات ومشاغل مشتركة، مثل التصدّي للتسيّب الخلقي، ولفرض النمط العلماني الإلحادي، وللأفكار الداعية إلى صدام الحضارات ... وهنا أيضاً ينتظر الكفاءات الإسلامية دور مهم في محاورة أهل الكتاب بالتي أحسن، وبالخطاب الذي يفهمونه. ولا يخفى ما للتبشير المسيحي من دور في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في مختلف أنحاء العالم، حيث تنطلق معظم البعثات التبشيرية من

أوروبا والغرب عموماً. وهذا الأمر يذكّرنا بالحملات التبشيرية التي مهّدت للاستعمار في البلاد الإسلامية .

وبدون شك، فإنّ كلّ نجاح يسجّل في التقارب بين أتباع الأديان ونزع فتيلة الكراهية والعداء ستكون له انعكاساته الإيجابية المباشرة وغير المباشرة على العلاقات بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي. بل إنّ فوائده تتعداه إلى الأقليات الإسلامية في الغرب، وذلك بالحدّ من ظاهرة تصيّد نقاط الضعف لدى المسلمين وتوظيفها بطرق ملتوية لأغراض خاصة، حيث تستغلّ مؤسسات تبشيرية – تعمل تحت غطاء اجتماعي إنساني – ثغرات في سلوكيات بعض أبناء وبنات الجاليات المسلمة وفي ثقافتهم الاجتماعية والدينية لاحتضانهم ومحاولة تنصيرهم (mohammed alraki1988)

ثانيا: الدور الدعوي التبليغي

إن الدور المنوط بالجالية المسلمة لا ينبغي الاقتصار فيه على تصحيح المفاهيم المغلوطة فحسب بل ينبغي يتخطى ذلك إلى إبراز الطرح الإسلامي كبديل لمعالجة المشكلات التي يعيشها الغربيون من خلال عرض القيم الإسلامية الصحيحة التي تبين الجانب الإنساني في الإسلام.

وبناء عليه يمكن للجالية المسلمة المؤهلة أن تقدم البديل الإسلامي بتصوراته الرشيدة وتحاول أن تستبدل المفاهيم الغربية التي تحكم حياتهم وتوجههم. وإذا كان العرض قد يتخذ أشكالا عديدة فإن الجانب الأهم منه الجانب العملي.

العرض العملي

هذا العرض يمكن أن يقوم به أفراد الجالية كلهم لأنه متعلق بالجانب الإنساني التي تجد من أهم تجلياته التسامح الحضاري الذي ينبني على الإيمان بوحدة الأصل الإنساني، وبالقيم العليا التي تدين بها البشرية عبر العصور، وهذه القيم مطلقة لا تتغير بتغير الزمن، ولا يمكن لهذه القيم أن تؤثر في المحيط الاجتماعي الذي يعيش المسلمون فيه إلا إذا تم الوعي بها وتمثلها وتشربها وسعى إلى العمل بها (altwijri2015).

إذا كان هذا هو الدور الذي يمكن إن تقوم بها الجالية المسلمة بالغرب القيام به في محالة الصد من ظاهرة الخوف من الإسلامي، فكيف يمكن أن نجعل أفراد الجالية تضطلع بهذا الدور؟

المبحث الثاني: سبل تأهيل الجالية المسلمة للتخفيف من ظاهرة الإسلاموفوبيا

الجاليات المسلمة بالغرب هي مجموعة من الأفراد أو جماعات أو أسر، مؤهلاتهم الفكرية مختلقة، بالنظر إلى أسباب وجودهم بديار الغرب، فهم ليسوا على وعي كاف بالدور الرسالي المأمول منهم، أو ليسوا على وعي به أصلا، وإذا كان الأمر كذلك فكيف السبيل إلى تأهيلهم للتخفيف من ظاهرة الإسلاموفوبيا في ظل هذه المعطيات.

لأن مثل هذا الأمر يتطلب بذل جهود مضنية حتى تتحقق الآمال المرجوة، ولعل السبيل إلى ذلك يكمن في اتباع عدد من الخطوات ورصد جملة من الإجراءات تتكامل فيما بينها، نذكر أهمها فيما يلي:

التوجه الأول: العمل الترشيدي التأطيري

ويتطلّب هذا المعطى من أصحاب الكفاءات وضع استراتيجية تتضمّن أولويات تأخذ بالاعتبار التحوّلات الداخلية في تركيبة أبناء الجاليات وفي تصوّراتهم وعقلياتهم، وتراعي حاجيات مختلف الأجيال من الأجداد إلى الأحفاد. فهناك العديد من القضايا الملحّة المطروحة على الأقليات المسلمة، التي لا يمكن أن يتصدّى لها إلا الفاهمون والمستوعبون للواقع الذي يتحرّكون فيه، الذين يحملون ثقافة تؤهلهم لرفع التحديات الكثيرة. والخطورة أن يتصدّى لهذه المهام من يتبنّون فكراً على طرفي نقيض من طبيعة الفكر الإسلامي الوسطي والواقعي والمعتدل .

ولكل هذه الأسباب، يتعيّن على الكفاءات الإسلامية الواعية أن ترشّد فكر الأجيال الصاعدة، وتجتهد في إقناعهم بوسطية الإسلام، وذلك باعتماد خطاب يفهمه هؤلاء الشباب، ويتماشى مع عقليتهم، ويأخذ بالاعتبار مؤثرات البيئة التي يعيشون فيها. ويتطلّب هذا الأمر من المتصدّي لهذه المهمّة معرفة دقيقة بلغة البلد الأوروبي- الغربي وثقافته، وبنفسية الشاب أو الفتاة، بالإضافة إلى فهم مقاصد الإسلام وطبيعته ومنهجه في التعامل مع الآخر، من أجل كسب ثقة من سيقوم على كاهلهم بناء مستقبل الحضور الإسلامي في الغرب. فقد أثبتت التجربة أنّ وجود خلل في أحد هذه الشروط يترتب عليه فشل العملية التربوية والتأهيلية عموماً.

إذ لا يغني حثّ الشباب المسلم على الاهتمام بلغة القرآن - قراءة وحفظاً وكتابة- عن التحدث إليهم بلغة بلدهم الحاملين لجنسيته والمقيمين فيه بصفة دائمة، حيث يعسر عليهم في مراحل التكوين الأولى استيعاب معاني اللغة العربية الفصحى عندما يتعلّق الأمر بالمواضيع التي تتطلب شرحاً وتحليلاً ونقداً، ومن ثم يكون من الأفضل تبليغ هذه المعاني بلغة البلد التي تساعد على الفهم وسرعة الاستيعاب. ويدعو هذا الأمر

إلى تأهيل كوادر الأئمة والدعاة، وتطوير العملية التربوية والتعليمية، من خلال تطوير مناهج تعليم العربية والقرآن والدين الإسلامي في المدارس الخاصة أو في الجمعيات الإسلامية المنتشرة، بعقلية منفتحة على المجتمع (abdemajd alnajar1988)

ولكي يكون البناء التربوي الديني صلباً، فإنّ المطلوب هو التفكير في عملية بناء تصاعدية للفرد في كل مراحل حياته، منذ أن يكون طفلاً إلى الشيخوخة؛ على عكس ما حصل في تاريخ وجود الجاليات المسلمة في الغرب، حيث تم الاهتمام بالحفاظ على هوية الجيل الأول ببناء المساجد، ثم التفكير في المدارس لتعليم العربية والإسلام للجيل الثاني من الشباب، الذين لم يسعفهم الحظ في تلقي تكوين إسلامي محْكم منذ الصغر، فكانت النتيجة أن تركت هذه الثغرة بصمات على سلوكهم وتصوراتهم. وبوجود الجيل الثالث والرابع، بدأ التفكير في الطفولة، مثل تكوين رياض إسلامية للأطفال، وقصص وبرامج على الكمبيوتر في مستوى الطفل.

والمطلوب أيضاً دمج التأهيل التربوي الديني بالتأهيل الثقافي الفكري السياسي، من أجل الحفاظ على التوازن في بناء الفرد والمجموعة. فتعليم الأجيال الصاعدة اللغة العربية ومبادئ الإسلام لا يكفي لذاته إذا لم تصحبه متابعة ملف موضوع بالغ الأهمية يتعلّق بتمثيل المسلمين لدى السلطات، والذي يحتاج إلى الكفاءات العارفة بمتطلبات هذا الملف.. وملفا التعليم والتمثيل لا يُغنيا بدورهما عن الدور السياسي.

وبدون شك، فإنّ المؤسسات الإسلامية أصبحت المحضن الذي يستأنس به مسلمو الغرب في جميع أحوالهم، ومصدر مرجعيتهم الدينية والشرعية في التفاعل مع البيئة غير الإسلامية. ولكن العمل المؤسسي الإسلامي في حاجة إلى عملية تقويمية من حيث توفّر الإمكانات المادية والبشرية الضرورية، وذلك بعد تعثّر عدد من المؤسسات بسبب

الانطلاقة غير المدروسة، ومن حيث ترتيب الأولويات، والحال أنّ جلّ الجهود تصبّ في إقامة المؤسسات الدينية مثل المساجد، والمؤسسات التعليمية مثل المدارس، على حساب مؤسسات أخرى ذات تأثير كبير مثل المؤسسات الإعلامية والبحثية والفقهية التأصيلية.

ومن الحلول التي توصّل إليها القائمون على مؤسسات إسلامية بالاستعانة بالخبراء المسلمين، إنشاء وقف خاص بها من أجل تجاوز العائق المالي الذي يعترض الكثير من المشاريع الإسلامية. كما لا تخفى أهمية عامل الاستثمار في النهوض بواقع الأقليات المسلمة. وتكفي المقارنة بين الوجود العربي الإسلامي في بريطانيا والواقع الاقتصادي. وهذا البعد لا يستهان به ولا يقل أهمية عن البعد الثقافي والفكري. فإقامة مشاريع تجارية ومؤسسات استثمارية مدخل مهمّ لاقتحام الدورة الاقتصادية الغربية وفهم آليات عملها والقوى المؤثرة فيها، وأهمّ من ذلك تكوين جماعة ضغط «لوبي» اقتصادي مالي ضروري لضمان حقوق الجاليات العربية المسلمة.

التوجه الثاني: البناء المؤسسي

إن العمل المطلوب من أفراد الجاليات المسلمة بالغرب هو عمل جماعي ض كليته، ولدلك فهو يقتضي إنشاء مؤسسات من قبيل المراكز البحثية والمنظمات العلمية والجمعيات الدعوية والمؤسسات التعليمية وما شابهها من التشكيلات الجماعية ذات الطبيعة المؤسسية، حيث أن ما كان يقام من حوار الثقافي وحضاري بين المسلمين وبين أهل الغرب عبر المبادرات الفردية لم يكن يرقى إلى مستوى الدور الرسالي المأمول.

فهذه التشكيلات المؤسّسية ذات الطبيعة الجماعية تنخرط فيها العقول المهاجرة بحسب تخصّصاتها واهتماماتها لتكون محضناً للحوار في العمل الرسالي بوجوهه المتعدّدة،

وفيها تضبط الخطط والمشاريع في هذا الشأن، ومنها ينطلق الأفراد في الممارسة العملية للمهمّة الرسالية .

إنّ هذه المحاضن المؤسّسية من شأنها أن تفعّل الدور الرسالي للعقول المهاجرة؛ إذ هي بالإضافة إلى كونها محضناً لتجميع الجهود وتوجيهها الوجهة الصحيحة، فهي تعتبر عاملاً من عوامل التحشيد النفسي والإرادي للعزم على تحمّل الرسالة الحضارية المنوطة بعهدة تلك العقول، كما تعتبر أيضاً عاملاً من عوامل الصيانة للولاء للأمّة والانتماء إليها، إذ هي صورة مصغّرة منها، والولاء للجزء مرحلة ممهّدة للولاء للكلّ .

كما تكتسب هذه المحاضن المؤسسية من المصداقية في عيون أهل الغرب وفي نفوسهم وعقولهم، وتكتسب من المكانة لديهم في مخاطبتهم والتعامل معهم ما لا تكتسبه العقول المهاجرة فرادى، وذلك من طبيعة ما بُني عليه المجتمع الغربي من القواعد في التعامل، فينبغي أخذه بعين الاعتبار في تفعيل الدور الرسالي لهجرة العقول . (abdemajd alnajar1988) وهو ما لا يتحقق للأفراد بصفتهم هذه، وهذا من طبيعة ما بني عليه المجتمع الغربي من القواعد ض التعامل(mohammed alraki1988)

التوجه الثالث: تفعيل الخطاب العملي

إن أهل الغرب على وجه العموم بنيت ثقافتهم بناء عمليا واقعيا، نتيجة ما ترسخ فيهم من نزعة ذرائعية زرعتها فيهم الفلسفة النفعية ورعاها ونماها حب المتعة المادية الذي طبع حياتهم بصفة عامة، فبتلك النزعة نجدهم لا يتفاعلون عموما إلا مع الخطاب الذي يمس بصفة مباشرة حياتهم العملية، ويجعلهم ينتظرون من ورائه نفعا ناجزا يتمثل في حل لمشكلة من مشاكل حياتهم الفردية أو الاجتماعية أو في توفير سبب من أسباب الرفاه

المادي أو في تأمين مسلك من مسالك الأمن النفسي أو الجماعي، وأما ما عدا ذلك وما كان طابعه نظري صوري بحت فإن التفاعل معه يكون محدودا في كمه من حيث عدد المتفاعلين وفي كيفه من حيث درجة قبوله والانتفاع به(mohammed alraki1988)

وبناء عليه فإن تفعيل الدور الرسالي لأفراد الجاليات المسلمة بالغرب، سواء كان تصحيحيا أو دعويا، يتطلب جملة من المقومات نذكر منها:

1- أن يكون الخطاب الإسلامي سالكا مسلك الأنموذج العملي، بحيث تظهر القيم الإسلامية فردية كانت أو اجتماعية أو أسرية في الممارسة العملية للحياة على اختلاف وجوهها، وخاصة ما يتعلق منها بما له علاقة مباشرة بالمجتمع، إذ ذلك هو الأظهر للعيان والأقرب للملاحظة.

فهذا الضرب من الخطاب العملي المجسد للقيم الإسلامية الجماعية والفردية يعتبر حجة بالغة التأثير في نفوس أهل الغرب وعقولهم ما يرون فيها من حلول واقعية لبعض ما يعانونه من المشاكل النفسية والأسرية والاجتماعية، فتسري إليهم القيم الدينية من خلالها، ويكون ذلك تهيئة لقبول ما بعدها من الحقائق الإيمانية الأخرى وفضلا عن ذلك ينبغي أن لا يكون الخطاب استعدائيا يوغر الصدور، بل ينبغي أن يتشبع بروح التسامح والعفو، فيقدم الإسلام للغرب بوصفه خيارا حضاريا يمكن أن يسهم في إثراء القيم الإنسانية التي يومن بها الغرب نفسه، وبوصفه رسالة هداية ورحمة للناس.

اذاً كانت هذه بعض سبل تفعيل الدور الرسالي المنشود للجاليات الإسلامية بالغرب، نعتقد انه باحترامها وتفعيلها سيتم تقليص أسباب التوتر وسوء التفاهم بين

العالمين الإسلامي الغربي، وستتبدد معه الكثير من آثار ظاهرة الإسلاموفوبيا بكل مخلفاتها وانعكاساتها السلبية.((mohammed al mahdi2015.

وبقدر ما تُلقى المسؤولية على الكفاءات المسلمة في الغرب من أجل تصحيح صورة الإسلام والمسلمين هناك، بقدر ما تكون مهمّتها ومسؤوليتها كبيرة في تحسيس الطرف الإسلامي بضرورة مراجعة موقفه من الغرب عبر تقديم فهم أعمق للفكر والواقع الغربيين. فالنظرة السائدة في العالم الإسلامي أن الغرب شرّ كلّه، والخطاب يسوده التهجّم والعقلية الصدامية، والحال أنّ المسلمين جزء من هذا الغرب الذي يلعنه مسلمون آخرون صباح مساء، والمواطنة تقتضي وحدة الهموم والمصير .

ومن الضروري أن تتصدر الجاليات المسلمة صفوف الرفض والإدانة لمثل هذه الأفعال، وأن يتطور رد الفعل من شجب وإدانة إلى بلورة عمل منظم للدفاع عن الأوطان التي يقيمون فيها من خلال تعاون معلوماتي للإبلاغ عن أي مشتبه بهم أو متورطين في أي هجمات إرهابية، بالإضافة إلى حملات تضامن حقيقية مع أسر الضحايا، وحراك إعلامي فعال على مختلف المستويات.

إن الحضور الفاعل والمؤثر للجالية المسلمة في الغرب يوفر لها فرصا كثيرة للحد من ظاهرة الإسلاموفوبيا وتصحيح صورة الإسلام ودحض الشبهات وتصحيح الأخطاء والمغالطات (altwijri2015).

ويحتاج المسلمون في هذه المجابهة إلى عمل مؤسسي منظم تقوم به مؤسسات ومراكز دراسات حتى يكون له الأثر المرجو في مستويات متعددة، بدلا من الجهود الفردية الراهنة سواء في مجال رصد ما ينشر أو يذاع عن الإسلام والمسلمين أم في مجال

مواجهة ما ينشر في مختلف القنوات الإعلامية الغربية، على اعتبار أن الجهود الفردية تظل غير قادرة على تفعيل آليات المواجهة والرد والتصحيح، هذه المواجهة هي بالدرجة الأولى مواجهة فكرية، والفكر لا يقابل إلا بفكر (hammed ibrahim214)

ويمكن الحد من ظاهرة الإسلاموفوبيا عن طريق إيجاد وشائج قوية تجمع بن الجاليات المسلمة من جهة ومواطني الدول التي يتواجدون على أراضيها بوصفهم مواطنين أو مقيمين، وتأسيس مجالس وتجمعات طوعية تتكفل بإدامة العلاقات الطيبة بن المسلمين أنفسهم، والمسلمين وغيرهم، وتوطيد عرى التعاون مع الجمعيات الحقوقية الأجنبية التي تعنى بمكافحة العنصرية ومحاربة التعصب والدفاع عن حقوق الأقليات.

إن على الجاليات العربية والمسلمة دورا كبرا في توحيد مواقفها وتكوين قوة ضغط في مجتمعات مكونة أساسا من نسيج ديموغرافي متعدد. إن إسهام أبناء الجالية المسلمة في الغرب في التعريف بالإسلام وتصحيح صورته والحد من استفحال ظاهرة الإسلاموفوبيا يتطلب مجهودات كبيرة على جميع المستويات (hasan azouzi 2006)

والجاليات الإسلامية التي تعيش في الغرب هي أهم جسر للتواصل بين الشعوب العربية والإسلامية من جهة وبين الشعوب الغربية من جهة أخرى، وهي أهم وسيلة لتقديم صورة حقيقية عن الإسلام بعيدا عن الصورة المظلمة التي يحرص أعداء الإسلام على تقديمها للغرب2006) abdehakh himeh (

إزاء ذلك يمكن بلورة المحور الإنساني والفردي في مواجهة ‘‘الرهاب من الإسلام’’ في عدة مسارات وخطوات:

1. تعزيز وعي الجالية المسلمة بالتحدي، ورفع جاهزيتها للتحرك على مختلف المسارات بشكل علمي مُمنهج، وتأهيلها للتصدي لأي موجة كراهية بشكل قانوني وفكري واجتماعي مستنير.
2. إنشاء قاعدة بيانات للكوادر المؤهلة من إعلاميين وحقوقيين وقانونيين ومفكرين، وغير ذلك من مهن، وقدرات، وكفاءات، بما يكفل حسن توظيفها في مواجهة تلك الظاهرة.
3. تفعيل أدوار الجاليات المسلمة سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، وبلورة حراك فاعل داخل المجتمعات الغربية، يتماشى مع احتياجات تلك المجتمعات، ويلتحم مع القواسم المشتركة، مؤتمرات، مهرجانات، أنشطة رياضية وثقافية، يوميات معايشة، فعاليات خدمة مدنية، وغيرها، بما يعزز عملية اندماج المسلمين في مجتمعات الهجرة، والمشاركة الفاعلة في نشاطاتها المجتمعية وحياتها السياسية، مع إبعاد أي توظيف سياسي لهذه المشاركة.
4. مخاطبة مشاعر التعاطف الإنسانية لدى الإنسان الغربي عن طريق عرض الأفلام والصور لضحايا المذابح المرتكبة بحق الشعوب العربية والمسلمة، بهدف استثارة مشاعر الذنب لدى مرضى الإسلاموفوبيا كون مشاعر الذنب علاجاً ناجعاً لهذا المرض.
5. إطلاق هيئة مدنية حقوقية للدفاع عن حقوق الجاليات المسلمة في الخارج، على أن تقوم الحكومات بتقديم ما يمكنها من دعم سياسي ومادي لهذه الهيئة، وأن تؤسس لها فروع في مختلف بلدان المهجر.
6. رصد تجمعات إسلامية تسيء للإسلام، وتفكيك مقولاتهم.

7. تدشين حملة طرق للأبواب لنزع فتيل تعرض المهاجرين المسلمين لاشتقاق جديد للإسلاموفوبيا يروج له العنصريون الغربيون، وتتعلق المخاوف الجديدة بزيادة النسبة المئوية للمسلمين في بلدان الهجرة.

خاتمة

إن البروز الكبير وغير المنطقي للإسلاموفوبيا ورؤاها في عالم الغرب، يشير صراحة إلى أن هناك مجموعة خرافات بئيسة عن الإسلام وأهله، وتروج وتنتشر هذه الخرافات بفعل الإعلام وعالم الهيمنة والغلبة وعلو كعب صاحب الصوت الكبير في أوروبا وأمريكا على السواء؛ فمما ترمي إليه حمى الإسلاموفوبيا أن تختزل الإسلام المحظي بالقبول والرضا في الغرب في ذلك النموذج التقليدي الطقوسي المهجن بالعلمانية، سواء كان في شكل دولة أو أفراد أو جماعة أو فئة أو تيار أو جالية، أو غيره من الكيانات الموزونة بمعايير الرؤية الغربية المغشوشة للوسطية والاعتدال والتسامح.

والإسلاموفوبيا كإحدى مآسي الإسلام التي تحتاج لترياق عاجل، ولا يكون ذلك باتخاذ وضعية الضحية، ووضع مسؤولية إخفاقنا على الآخرين، فهذا أمر لا يليق بحضارة عظيمة كالحضارة الإسلامية، والسعي لتحسين صورة الإسلام في خارج بلاد الإسلام، للتقليل من الأزمات الأخيرة والمتعلقة بالتصريحات العنصرية المعادية للمسلمين، وأعمال العنف الموجهة ضدهم.

إن التعرف على مصادر تنظير ظاهرة الإسلاموفوبيا، يقتضي السعي لمقارعتها وصولاً إلى صورة حقيقية للغربيين عن الإسلام، ولن يكون ذلك إلا بتقويض كامل

للخطاب والنماذج المعيارية، التي تشكل الأساس التحتي لأفكار الإسلاموفوبيا، وتفكيك النظرية المعرفية للإسلاموفوبيا، من خلال الكشف عن بعض ظواهرها، وآثارها على البشر، مسلمين وغيرهم.

من الواضح أن معالجة مشكلة الإسلاموفوبيا تتطلب مخاطبة العالم الخارجي بلغاته وعبر أدواته ووسائله الإعلامية، وهو ما يجب أن يسعى له المسلمون في كل مكان، من خلال فريق من الباحثين والمترجمين المتخصصين في هذا المجال والمحيطين بتلافيف عقل الإسلاموفوبيا، ومن ثم استغلال صفحات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام العالمية في نشر رسائل تعمل على تغيير تلك الصور النمطية البغيضة، والرد على حملات الكراهية التي تظهر في هذه الوسائل والوسائط.

توصيات:

1. مأسسة استراتيجية وخيارات المواجهة لظاهرة الإسلاموفوبيا.
2. تشكيل هيئة دولية للدفاع عن الإسلام، والتصدي لآثار الإسلاموفوبيا بشكل قانوني وإعلامي، والدفع بمشروعات قوانين للبرلمانات الأوروبية والغربية تجرم ازدراء الأديان، وارتكاب جرائم الكراهية.
3. تأسيس مرصد يُعنى برصد وتوثيق كافة جرائم الكراهية ومظاهر الإسلاموفوبيا، والتحرك قانونيا ضد مرتكبيها أمام مختلف المحاكم الأوروبية والغربية والجنائية الدولية، على أن يقوم بإصدار تقارير دورية تغطي هذا المسار.

4. الدعوة إلى عقد قمم على المستويين العربي والإسلامي لبحث الظاهرة، والتعامل معها كخطر وجودي؛ لحماية الأمن الإسلامي، والتباحث بشكل دوري مع المسئولين الغربيين حول سبل لجم الظاهرة، والحد من آثارها.
5. تعزيز قدرات المؤسسات الفاعلة في هذا المضمار، وزيادة معدلات ترجمة الفكر الإسلامي، وإمداد المكتبات الغربية بأمهات الكتب في شتى مجالات هذا الفكر، وترجمة القرآن الكريم ومعانيه بمختلف لغات العالم، وكذلك السنة النبوية وسيرة النبي محمد.

المراجع:

Ahmad Ibrāhīm, Al-Islāmūfūbiā: Khāriṭah Ṭarīq Nahw al-Muwājihah, Al-Qāhirah: al-Ma'had al-Misri lil buhus.

Hasan 'Azūzi, al-Islām wa Tuhmah al-Irhāb, Maṭba'ah Anfu, Brānis, Fās, 2006.

Hasan 'Azūzi, Dawr al-Ṣahāfah fī Taṣhīh Ṣūrah al-Islām fi al-Gharb, dimn kitāb: Dawr al-'Ilām fi Mu'ālajat Zhāhirah al-Khauf min al-Islām, al-Īsiskū, 2006.

'Abd al-'Azīz al-Tuwaijirī, Muslimū al-Gharb wa al-'Ālam al-Islāmiy, al-Īsiskū, 2015.

'Abd al-Haq Khumaisy, Limāza Yakhāfa al-Gharb min al-Islām, dimn al-Kitāb: Zhāhirah Al-Islāmūfūbiā wa subul al-Ta'āmul Ma'ahā, al-Īsiskū 2015.

'Abd al-'Azīz al-Tuwaijirī, al-Jāliah wa al Muassasāt al-Islāmiyyah wa Dawruhā fi Ibrāz Ṣurah al-Islām, al-Īsiskū 2015.

‘Abd al-Majīd al-Najjār, al-Bu’du al-Risālī fi Hijrah al-‘Uqūl al-Muslimah ila al-Gharb, Kitab al-Ummah, al-Awqāf al-Qaṭariah, 1424, al-‘Adad 89

Muhammad al-Ghumaqi, al-Kafāāt al-Muhājirah Ṭalāī’ li hadārah al-Islam, Kitāb al-Ummah, Al’Adad 89.

Muhammad al-Mahdī, Dawr al-Jāliyah al-Muslimah fi al-Gharb fi al-Takhfīf min Zhāhirah Al-Islāmūfūbiā, mansyur fi kitāb: Zhāhirah Al-Islāmūfūbiā wa subul al-Ta’āmul Ma’ahā, al-Īsiskū, 2015.